روايــة

(لـم أتـعمـد كـل هـذا)

الكاتبة / نـسـمـة الـجـمـل

- 1 -

- بتتحركي كتير .. ابقي ثابته حتى أستطيع تضميد جرحك !

ضحكت بشدة.. ضحكت حتى تدفق الدم من جديد من الجرح !

هذا الممرض الساذج يظن انني اكترث لتضميد هذا الجرح السخيف ، الجرح الذي احدثته أخطائي .. انا استحق أن أصاب .. أستحق كل الحزن الذي يسكن قلبي والتشوه الذي ملأ جسدي .. ترون هذه الكدمات على وجهي .. هي الأخرى تستحقني واستحقها ..

قلت للممرض وانا أطالبه بأن يدعني وشأني : - ستضمد جرحي ماذا عن قلبي ؟!

نظر إلي نظرات غير مبالية .. ثم وجدت شقيقي من وراء الزجاج يقف .. يتطلع بي حتى أصمت وأنهي ما جئت لفعله حتى يعود بي للبيت من جديد ..

صمت .. او بالأحرى خشيت أن تحدث دراما بتلك المشفى ..

لم أخبركم أنا رفضت أن يخدروني طلبت من الممرض أن يقطب جرح كتفي دون مخدر.. وفي الواقع هو لم يهمه الأمر كثيرا كان يريد أن ينجزني حتى أذهب مع أخي ويتلاشى كابوس وجودي او الاسئلة التي ستقابله ان اكتشف وجودي بعاهاتي تلك ..

لم أخبركم هذا الفتى يكون معرفة شقيقي وتلك ليست المرة الأولى التي يضمدني دون أن يشعر أحد وأعود من جديد لعذابً أخر ..

عدت وهو يتركني أمام البيت ويذهب دون قول كلمة واحدة، تركني لألقى مصيري المعتاد دون أن يحاول الدفاع عني من جديد ، وكيف يفعل هل سيقف امام زوجي و والدته وشقيقاته ليس لي مأوي بعيدًا عنهم .. هم لا يحدثون أخي إلا ليذموا بي أنني في بعض المرات تجرأت وتمردت على خدمتهم ، وتلك ليست الحقيقة انا افعل كل شيء بفم صامت .. كالمُذنب الذي ينفذ عقوبة لا تنتهي ..

لا تظلمون أخي هو تجرأ مرة أن يقف أمام ظلمهم لي ولكن كان حساب ما فعله شديد ، تركته زوجته خائفة من تهديدات زوجي ان يخطف ابنائها وبقي هو وحده لا حول له ولا قوة يواجه تهديداتهم وحرمانه من اولاده وزوجته حتى عدت انا من جديد لبيتي رأفتً به وبعائلته ..

تبدأ مأساتي بعد زواجي بأربع سنوات.. كنت الأسعد على الأطلاق .. زوجي كان حنون وعائلته تحبني .. كل شيء كان جميل حتى اليوم المشؤوم .. يوم فقداني الأبن الذي حلمنا به جميعا .. الطفل الذي اجهضته انا رغمًا عني ولكن بالنسبة لهم انا متعمدة .. يومها طلبت من زوجي الذهاب لفرح ابن عمتي .. ولكن زوجي وعائلته رفضوا لان حالتي خطيرة والطبيب طلب ان أظل بالفراش حتى الانجاب ، حيث أن ابني كان طفل لقاح (فهشام زوجي دفع كل ما يملك من أجل هذا الطفل) ..

ولكن رغم كل التحذيرات ذهبت بدون علمهم.. طلبت منه ان يذهب بي لوالدتي رحمها الله حتى ارتاح معها لبعض الوقت ومن هناك يتسنى لي الذهاب دون أن يعرف أحد .. ذهبت وانا ميقنة انها ستمر على خير وطلبت من الجميع عدم أخبار زوجي وتعمدت ان لا اظهر في الصور وبالفعل مر كل شيء على ما يرام حتى موعد رجوعنا للبيت لتنقلب بنا السيارة !

لا أعرف كيف مرت الأيام حتى عدت بعد ثلاثة أيام من غيبوبتي لأجد امي ماتت وشقيقتي الصغرى رحلت معها ولم يبقى سوى انا وشقيقي الأكبر الوحيد الذي تبقى لي من أسرتي كلها بعدما مات أبي بالفعل منذ سنوات ..

وجدت زوجي هشام يقف أمامي وعيناه متورمتان يبدو انه كان يبكي علي ..

تحسست بطني وانا أسأله أين أبني !؟

وعندما لم أجد أجابة ظللت اصيح بهيستريا شديدة أين ابني ، أين هو .. أريد أبني لم يجعلني أصمت وقتها إلا صفعة قوية على وجهي من هشام التي تلاها صوت لم

اعهده ابدا معه .. صوت يملأه الغضب والأعتراض .. صوت مليء بالشر قائلًا :
انتِ لم تفقدي هذا الأبن فقط، انتِ فقدتي كل فرصك للإنجاب .. دمرتيني، دمرتي حلمي بأن أصبح أب ولكن أنا سأنتقم منك ! صدقيني ستندمي على ما فعلتِ أعدك بذلك .. طلبت منه أن يطلقني رفض .. حتى عائلته رفضت أن تأتي لزيارتي .. اخبرني انني سأجد معاملة مختلفة .. كنت أجد شخص شرير .. شخص لم أعرفه ابدا في حياتي ..

لجأت في المشفى لأخي وأخبرته ان ينقذني ولكنه رفض لانني أستحق عقاب زوجي لي .. انا خالفته وحرمته من ابنه .. ثم طمأنني انني قادرة على احتواء الموقف من خلال امتصاص غضبه بالهدوء ولكنه لم يكن يعرف ماذا حدث لي .. وما الذي عاصرته معه ..

انا ايضا حُرمت أن أكون امًا لباقي عمري لماذا لا يستطيع أحد إستيعاب حجم المعاناة في قلبي !

زوجي عاملني معاملة الخادمات وأهله تفننوا في تعذيبي .. كنت اضرب وأهان وأعذب بالايام ولا استطيع التحدث لانني عندما تحدث لم أجد من ينصفني .. فكرت كثيرا في الهروب ولكن لم استطيع حتى أن أفعل .. حتى شقيقي كما اخبرتكم سابقًا كان يذهب بي للمشفى يقطب لي الجروح ثم يعود بي مرة أخرى للمنزل حتى ألقى مصير جديد .. والمرة الوحيدة التي حاول ان ينصف فيها شقيقته تعرفون ماحدث له .. ولكن اتدرون تلك المرة سأهرب ..

تطلعت حولي لم أجد أحد ، شقيقي ذهب وهم يظنون انني معه ، ولا أحد يراني ، سوف أنجو ، يجب أن أبحث عن مصير أخر مختلف ..

تحركت نحو الشارع، نحو الظلام، ذهبت للمجهول وانا أعرف أنني سأستطيع النجاح .. بالتأكيد سيكون المجهول مهما كانت وحشته أفضل من عذابي هذا ..

لم اخبركم أسمي .. عفوًا.

كان هذا سهوا مني ، افرغت عليكم الحزن الذي يملأ قلبي وهمي الكبير دون أن أقوم بالتعريف عن نفسي .. وها انا أفعل من جديد واقص عليكم احزاني..

انا فرحة عمري خمسة وثلاثون عاما.. حاصلة على بكالريوس التجارة.. ابي اختار لي اسم فرحة وقال لأمي بأنني البهجة التي زارت حياتهم .. فمنذ عرفت أمي أنها حامل بي وتحسنت أحوال أبي من كل شيء ، تجاريًا واسريًا ..

لو تعلم يا أبي ما حدث لي بعد وفاتك .. ليتك هنا تحميني ..

منذ أربع ساعات وانا اركب مواصلة وراء أخرى .. والمال الذي كنت أخبأه في ملابسي الداخلية على وشك الإنتهاء ، يجب علي النزول والاستقرار بالمحافظة القادمة أعتقد انني بعدتُ ما يكفي عن الزقازيق ..

السائق قال لي انه ذاهب لقرى من قرى الأسكندرية لن يستطع أحد الوصول لي فيها كنت اتحرك والشتاء يبلل جسدي .. الارض رطبة والوحل يمسك بحذائي .. أصبح السير عسير .. والظلام الحالك يرعبني .. يجب أن أجد مكان ابيت فيه . ولكن كيف فتلك القرى مظلمة جدا .. الجميع بالتأكيد نائمين .. ماذا افعل .. أين أذهب ..

هناك ضوء يأتي من كوخ بجانب أرض زراعية .. سأذهب إلى هناك .. الجرح يؤلمني .. المطر بلله واخشى أن تحدث لي مضاعفات وانا وحدي !

ذهبت للكوخ السقف لا يمنع الشتاء بشكل متقن ولكن هناك زاوية لا تتسرب المياه منها بقوة مثل الباقي .. سأحتمى بها حتى أجف .. اشعر بالدوار .. رأسي تؤلمني .. جرحي يشد بقوة علي .. ماذا يحدث لي !!!

لم أشعر بنفسي ولا ماذا حدث معي لأصحو بعيون ثقيلة جدا وألم في رأسي أكاد لا أستطيع الرؤية منه .. كأنني في عالم أخر .. اسمع اصواتا .. هناك صوت أمرأة

تسأل : من هذه وما الذي جاء بها إلينا !

وصوت رجل يجيبها : لا أعرف يا امي يبدو انها غريبة عن البلدة .. عندما تفوق ويزيح الله عنها تلك الحمى سنعرف ..

احاول أن اتكلم ولكن لساني ثقيل لا استطيع التحدث كما رأسي ثقيل ويدور بي بشدة .. ومن جديد ذهبت في نوم عميق ..

بعد ثلاثة ايام صحوت بصحة جيدة .. جرحي اصبح بخير نسبيا .. عادت لي صحتي .. فتحت عيني على بيت متوسط ، اساسه بسيط .. وسيدة عجوز تقف امامي تسأل عن صحتي وانا اخبرها بأني بخير ..

وبعد قليل جاء الرجل بنفس الصوت الذي سمعته وانا نائمة .. شاب اربعيني .. ملامحه غربية مليئة بالشقاء .. كفوف يديه لرجل يمسك الفأس ويحصد الزرع .. ملابسه متوسطة ولكنها متناسقة .. ابتسم وهو يسألني : كيف اصبحتِ يااا ... ما اسمك؟

قلت في خجل واضح وانا احاول ان استر كتفي بجرحه واعتدل في جلستي : اسمي فرحة .. ابتسم وهو يبعد عينيه عني عندما شعر بإحراجي : منين يا فرحة ؟!

قلت بإبتسامة : من بعيد .. بعيد كفاية ...

قطع حديثنا صوت شاب في السادسة عشر من عمره قائلا : انت رجعت يا ابي؟

جاوبه والده قائلا : نعم ، خذ الفاكهة وضعها في (المطبخ) .. واجلب بعض الفاكهه للإستاذة ..

قلت والجوع يقرص معدتي : لا ، شكرا ، لا اريد ..

صمموا ان يطعموني .. يا لكرمهم ..

ثم جلسوا امامي الابن ووالدته وسألوني ما حكايتي ..

لم استطع أن أكذب عليهم ابدا.. قلت كل شيء بكل صدق، عدا شيء واحد اخبرتهم

بأنني هاربة من أخي بعدما طلقني زوجي نتيجة لخطأي معه واجهاضي لطفلنا وتعذيبه لي بعد ذلك بوحشية واثار التعذيب على جسدي جعلتهم يتعاطفون معي .. لا اعرف لماذا كذبت .. لا اعرف حقاااا لماذا فعلت .. في البداية قلقت والدته .. لأخبركم قبل أن أكمل بإسمه ..اسمه عبدالرحمن .. والدته تناديه بعبده ، سمعتها تخبره بأنني سأجلب لهما المشاكل ويجب أن يطلبوا مني الرحيل .. وهما بالفعل اكرموني كفاية وعندما شعرت ان عبدالرحمن وافقها أخذت أبكي .. أبكي بكل قوة .. أين سأذهب .. وقعت عند قدم الأم وطلبت منها ان تأخذني (خدامة) لها ، وطلبت من عبدالرحمن ان يقف معي ، رجوته ان يساندني ويطلب منها ان ترحمني ولا ترمي بي للشارع ، سأفعل أي شيء لأعيش بعيدًا عن هلاكي السابق ، وافقوا وبالفعل كنت اساعد والدته في كل شيء ، ولكن الشيء الغريب انني لم أرى زوجته والدة اولاده في اي مكان ابدا واولاده الثلاث يأكلون ويشربون معنا .. وجدتهم تأخذ دور الأم بشدة !

تجرأت من شدة فضولي وسألت الام .. اين والدة الاطفال وزوجة عبدالرحمن ... قالت والدموع تملأ عينيها .. هربت منذ ثلاث سنوات ..

فاجئتني الأم بما قالت .. كيف هربت ولماذا فعلت .. سألتها بذعر: هل كان عبد الرحمن هو الآخر يضربها ؟!!

صعقت الأم من سؤالي وقالت لي : ابني الحنون يضرب أمرأة ؟ لا يا بنتي ابني لم يتربى غير على الحنان والحُب والعطف .. وتلك هي أساس المشكلة مع زوجته .. سألتها بدهشة.. الحنان والحب مشكلة ! كيف ؟!!

قالت والألم يعتصرها : كانت تستغل عطفه بدهاء وحنانه بالكذب عليه وبساطته في التآمر .. تحيك القصص وتتلاعب به كالدمى .. كُنت أرى ما تفعل واتغافل ..

تعرفين لِمَ ؟

حركت رأسي بعدم فهم ومنه ايضا كسؤال .. فتابعت الأم : كُنت اخاف أن يجرح ابني خاصةً وانا من أجبرته عليها .. انا التي اخترتها له وقلت انها هي من ستكون ستره وحنانه .. اخترتها يتيمة عاشت مع زوجة أب تبكي ليل نهارا بسبب ما تفعله بها .. قلت اعطف عليها وارحمها فتكون اسيرة الجميل وتعوض حرمانها محبة لإبني .. ولكن العذاب ما نتج في قلبها إلا قسوة وحقد ..

هل تعرفين كيف هربت ؟! سألت والفضول يأكل روحي : كيف ؟!

باع ابني قطعة أرض ليبني بها شقق في هذا البيت لابنائه .. ولكنها رفضت وقالت له أريد الذهب أملأ به يدي وصدري كباقي النساء .. اريد ملابس كثيرة وجديدة .. اريد تجهيز شقة لي فخمة والاهم مستقلة عن أمك .. عبدالرحمن لأول مرة يرفض لها شيء .. وقف امامها وقال لها تلك الاموال لأولادي .. نحن يجب أن نفعل من أجلهم .. نام وصحى لم يجدها لا هي ولا المال .. شهور ننتظر وسنة وراء الآخرى ولا رجوع لها .. اشك في انها ماتت .. فبرغم كل شيء هي ام لو كانت حية لعادت من أجلهم .. صح يا بنتي ؟!

بكيت .. بكيت بشدة ولم أكن وحدي التي تبكي فعندما ذهبت من امامها لكي أهدأ وجدته وراء الباب يسمعنا والدموع تنهمر على وجهه .. رأيت عبدالرحمن الطفل .. الطفل الذي يسكن جسد رجل اربعيني يبكي بشدة .. ليتني ما سألت فيبدو انني أشعلت نار تحاول أن تخمد ..

شعرت بالذنب مما جعلني اتقرب منه .. اضع يدي على كتفه وقلت له بحذر شديد : الله يحبك ويحب أولادك .. انتم اناس طيبون والله لن يحزنك ابدا ..

تركته وانا احاول ان اختبأ من عيناه الحزينة .. عيناه التي شعرت بها تناديني ان اضمه .. فهو بحاجة لضمة الأن ..

لم أكن أعرف انني بنبشي عن زوجته ومعرفتي لما حدث معهم سأتقرب منهم بهذا الشكل .. كنت سابقا اهتم بهم كواجب .. مقابل المأوى والطعام والستر ..

الأن أهتم بمذاكرتهم .. بملابسهم .. أجلس معهم نتحدث ونضحك من قلبنا سويا .. تعلقت بهم وتعلقوا بي .. اصبحنا مترابطين بشكل غريب هم بإحتياجهم للأم وانا بإحتياجي للأمومة .. اندمجنا حتى نسينا نفسنا ونسيت الزوج !! الزوج

يا إلهي ماذا أفعل .. يجب أن أترك تلك العائلة يكفيها ما عاشت .. يكفيهم ما عانوا !

سمعت الجيران يسألون الأم عن الضيفة المقيمة ببيتهم منذ ايام طويلة ..

كذبت الأم وأخبرتهم انني ابنة شقيقتها التي تعيش بطنطا وجئت لزيارة طويلة ..

اصبحت أشعر بأنني أنانية .. اجعلهم في خطر لأطمئن انا !

عزمت على الذهاب وقررت مفاتحة الوالدة وعبدالرحمن في الأمر ..

جلست امامهم واخبرتهم في نيتي للرحيل ، غضب عبدالرحمن وسكنت الأم وكأنها تفكر لبعض الوقت ثم قالت : ماتتزوجوا يا أولاد .. ظروفكم مثل بعض .. والاولاد يحبونك وترين عبده مرتاح لك .

شعرت بتوتر عبدالرحمن يبدو انني لم اكن فقط اتقرب من اولاده بل اغزو قلبه دون تعمد .. عبده احبني !!

انا لا استطيع ان أقبل .. فانا مازلت متزوجة .. ثم اننا لا نشبه بعضنا .. ان قبلت من اجل الاولاد لا استطيع أن أحبه ! ماذا افعل !

هل اهرب من جديد .. هل أفعل بهم هذا أنا الأخرى .. هل افقده الثقة في نفسه بتلك القسوة !! لا لن افعل .. طلبت منهم ان نتحدث ..

ولكن عبدالرحمن الخجول استأذن ظنا منه بموافقتي !

اما والدته فقالت : هاتركك تفكري يا بنتي .. واسمحيلي أقولك انتِ اختياري الصح هذه المرة .. ولا اطلب منك الزواج من عبده كي تقومي برد معروفنا معكي لا و لكن اطلب منك ان تتزوجيه لاكون مطمئنه عليه هو وأولاده بعدما اموت .. انتِ تملكين الحنية وبتحبي دون مقابل .. وافقي يا بنتي حتى اشعر ان ربنا اخيرا رضا عنا وبعثك تعويضا لإبني عما رآه في حياته ..

تلك الأم أثرتني بحديثها .. ولكن انا عدا زوجي لا يمكنني ابدا الزواج منه !

في ماذا افكر!

لم تغمض لي عين إلا وأخبرتهم الحقيقة .. ارتسمت ملامح الحسرة و الصدمة على وجه عبدالرحمن .. أما الأم فطلبت مني الرحيل في الصباح .. طلبت منها مسامحتي ولكنها رفضت التحدث معي ، ستسامحني انا واثقة من انهت ستفعل ولكن ليس الآن نظراتها تقول بأنني ألمتها بشدة وخيبت أملها بي ..

لا أعلم كيف مر الليل علينا وفي الصباح قررت الذهاب .. ولكن مثلما جئت فقط بملابسي ..

ودعت الاولاد بقبلات وقلب مفطور .. تعمدت أن اذهب وقت نومهم ، فلن أستطيع وداعهم ابدا ..

عزمت على الرحيل والجميع نيام .. كنت احسب خطواتي حتى لا ازعج أحد فيصحو ..

ولكن الذي حدث لم استطع توقعه ابدا .. وجدت عبدالرحمن يقف لي على باب المنزل ، بيده حقيبة ملابس ويطلب مني التحدث قليلًا بعد ..

اقتربت منه ووقفنا سويا على باب المنزل الخارجي .. امامنا الشارع وحولنا المباني الصغيرة البسيطة ..

قال لي بصوت يملؤه الألم : لا أعلم لماذا كذبتي علينا .. ليتك لم تفعلي يمكن وقتها ما تعلق قلبي بهذا الأمل الكاذب .. خجلت بشدة وانا استمع إليه ثم تابع ..

اليوم هو يوم الوداع لنا .. ولكن لن أتركك تذهبي للمجهول .. ستذهبين لصديق لي حدثته وأخبرته أن يجد لك عمل في المشغل الذي يعمل به ..

ومد يده لي بورقة صغيرة وبعض النقود متابعًا : بهذة الورقة رقم هاتفه والعنوان .. سيؤمن لكِ مكان للمبيت ايضا .. وتلك النقود ستحتاجيها احتفظي بها معك ..

وبهذه الحقيبة ملابسك كنت أعلم انك ستتركيها ..

قال كل ما اراد ثم تركني وذهب دون إضافة كلمة واحدة جديدة .. حتى انني لم استطيع ان أرفض او على الأقل شكره !

نظرت للمنزل للمرة الأخيرة اودعه هذا المكان الذي وجدت به كل العطف الذي لم أجده في اقرب الناس لي ..

تحركت للمجهول من جديد.. ولكن تلك المرة مجهول معلوم الملامح بعض الشيء فهو به يد طيبة .. يد عبده !

بعد حوالي الساعة كنت بمكان غريب .. اتصلت بسامح صديق عبدالرحمن ..

شاب في الخامسة والثلاثين من عمره .. اسمر .. عيناه عميقتين ولكنه لا يشبه ابدا شباب هذا الجيل .. من الوهلة الاولى تشعر به مسنًا من ملابسه ويتأكد لك الأمر من حديثه .. طريقته قديمة ونظراته لئيمه ..

صوته هادئ حتى الملل .. طلب منى بطاقتي .. هنا وقفت الدنيا امامي ..

وقلت له ليس معي !

فجاوبني انه من المستحيل ان يقبل بي رئيس العمل دون بطاقة شخصية تضمني له .. فقلت والدنيا تضيق بعيني .. ارجوك اكفلني انت ..

فكر قليلا ثم قال .. هل معكِ شهادة ميلاد ؟! قلت : لا ليس معي ..

نظر لي نظرة لن انساها ما حييت .. اردت أن أقول له انتظر لا تفكر بي بشكل خاطئ .. انا أمرأة حسنة الخلق .. ولكن لن اقول شيء .. لن اقول ابدا .. انا أمرأة جيدة يكفي أن أعرف انا هذا .. ومن يعاملني ستثبت له الايام ..

قال لي انه لديه حل ولكن لا يعرف ان كان سينفعني ام لا ..

سألت بسرعة : ما هو ؟ قال: اولا ستنسي أمر المشغل .. لن يناسبك ..

قلت والقلق بدأ يملأ قلبي : اذا وماذا يناسبني ؟!

كانت الدموع تملأ عيني .. وكاد قلبي أن يحترق .. أين أذهب وماذا أفعل .. اشتاق لشقيقي .. اشتاق ايضا لحياتي السابقة .. اشتاق لهشام الحنون الذي ان طلبت لبن العصفور اعطاني .. اشتاق لعائلته العطوفة المحبة ..

جسدي يرتجف كلما تذكرت الذي أراده مني هذا الحيوان سامح

هل تعلمون ماذا أراد ؟!

أراد مني الزواج عرفي من خليجيين وليس واحد بل قال نصًا (كل فترة سأزوجك واحد وكل مرة ستأخذين المال الذي تريدينه) ..

اتضح ان تلك هي مهنته الاساسية وحتى وان كنت امتلك بطاقة شخصية وعملت بالمشغل سيجعلني يوما ما أفعل .. هذا ما قاله لي .. قال لي أنه يغير حياة الكثيرات بسبب عطفه عليهم .. حقا انه كهل .. لا يمكنك الا وتراه قديم ، قديم في كل شيء ولا يمكنك ان تصدق ان هذا الأبله يملك اموالا مهولة .. لقد عرض علي وحدي مئة ألف !!

الحمدلله انني نجوت ، لم يتركني أذهب إلا عندما هددته بمحادثة عبده وفضح ستره أمامه .. خشي ان تعرف قريته الشريفة مصدر أمواله وأراضيه .. خاف أن تهتز صورته وهو يصلى معهم جماعة ..

يا عبده !! نجوت بسببك يا بريء ! نجوت بسببك والأن أكل الطعام بأموالك !

فلقد وجدت عربة تبيع الخبز المحشو بالجبن .. لم يكُن مظهرها يشجع على الطعام ولكن معدتي الجائعة كانت ستجعلني ألتهم أي شيء ..

ظللت بالطريق لا أعرف ماذا أفعل ولا أين أذهب .. حتى جاء الليل واضطررت للبحث عن مكان أخلد للنوم فيه .. والذي بالطبع سيكون مكان مجهور ..

ظللت أبحث لمدة ساعتين .. كلما اقترب من طريقي أحد خشيت وانكمشت في نفسي تضرعت إلى الله أن لا أمر بتجربة مريرة تضاف لرصيد أوجاعي .. طلبت منه أن

كان هناك ألم جديد بقدري فليعجل بموتي قبل أن أتذوق مرارته ..

لم أجد مكان ابدا وأصبحت لا استطيع البحث أكثر من شدة التعب سندت رأسي على شجرة ولم أشعر سوى والذباب يضايقني لأصحو ..

فتحت عيني على فتاة صغيرة تنظر لي بإبتسامة وعندما وجدتني أتطلع بها صاحت (اماه .. اماه) .. طلبت منها أن تصمت خافت واختفت من امامي ..

اسرعت في النهوض حتى لا تعود بوالدتها .. كانت خطواتي سريعة .. حتى أنني لا اعرف كيف كنت على الطريق العام في خلال ثوان !

ركبت العربة التي قابلتني دون أن أعرف ما وجهتها .. سألت إلى أين نذهب فتطلع بي شاب في الثلاثين من عمره وقال : حضرتك غريبة ؟!

قلت له وانا اتعمد تجاهل سؤاله : اذا سمحت يا حضرت اخبرني إلى أين تتجه تلك السيارة ..

قال : للأسكندرية ..

قلت بقلق : المدينة نفسها ؟!

فجاوبني بإستغراب لدهشتي : نعم ، هناك مشكلة ؟!

لم اجاوبه .. فقط صمت وانا قلقه .. ماذا أفعل يا ترى .. هكذا سأقترب من جديد منهم ، شقيقي .. زوجي وعائلته !

عندما وصلنا خشيت أن يراني أحد كُنت أنظر للطريق دون مراعاة للطريق والسيارات .. خائفة حد الموت .. لم أشعر إلا ويد تلتقطني من أمام سيارة كادت تقلني من أرضي ..

هدأت ثم تطلعت به لأجده هو نفس الشاب بلحيته السوداء .. نفسه زميل الحافلة التي أقلتني من بلدة المدعو سامح ..

سألني هل أنا بخير؟! جاوبته نعم .. ثم صمت قليلًا ..

وجدته يقف بجانبي ينتظر أن أقول شيء .. ولكن ماذا أقول .. كيف أثق بأحد الأن بعد الذي حدث معي !!

عندما لم يجد مني شيء بادر هو بالسؤال : هل تريدين مساعدة .. يبدو أنك وحدك .. أشعر انكِ بحاجة شيء .. قولي الناس لبعضهم ..

قلت على استيحاء : أريد عمل .. أريد عمل .. ومكان يأويني ..

انا لست شحاذة .. انا فقط وحيدة .. وحيدة .. لم اتمالك نفسي

وانهمرت الدموع من عيني .. شعور العجز قاتل .. وانا عاجزة ووحيدة ..

طلب مني النهوض .. ووعدني بالمساعدة !

ما هذا الشاب كيف يساعد هكذا دون معرفتي .. ماذا لو كنت إنسانة غير جيدة ..

طلب مني الذهاب معه ولأني مجبرة اتبعته .. ذهبنا لمكان قريب جدا من الموقف الذي وقفنا به .. مكان لا أعرفه ..

عندما دخلت لم أشعر إلا وشيء خبط رأسي وغبت عن الوعي !

فُقت على صوت إناس كتيرة من حولي .. اناس يستغيثون وليس هناك من يلبي ..

سمعت أحدهم يقول أننا مع مافيا الأعضاء .. هل تلك نهايتي ؟!

جثة ترمي او تحرق بدون أعضائها .. ستكون تلك خاتمتي ؟! لا ..

لا اقبل بهذا يا رب .. ماذا فعلت لأستحق كل هذا العذاب ؟!

جاء رجل يرتدي ملابس الأطباء ومعه أخر يبدو عليه الوقار .. الاثنان تراهم اخيك وابيك صديقك وابن عمك وجوههم بريئة ولا يمكن ان تصدق أنهم يقتلون نفوسا بغير حق وبكل دمًا بارد !

الجميع حولي فزعون .. يتسارعون في الأختباء خلف بعضهم ..

هل زورت من قبل مزرعة للدواجن ؟! هل رأيت والدواجن تختبأ خلف بعضها خوفا من (السكين) في يد (الفرارجي) .. ولكن الدواجن هؤلاء المرة بشر لحمًا ودمًا .. كيف يمكن لقلب يعرف الرحمة ان يرى فزعهم هذا ويقتل نفسا مثله ؟!!!!

ماذا سأعيش بعد ليتهم يختاروني وارتاح .. الدنيا هذه قاسية جداااا .. المسكين لا يجد سوى الموت والخطر والوحشية من كل صوب وحدب ..

اختاروا شاب في السادسة عشر من عمره .. الشاب وهم يأخذونه سرب بوله على بنطاله وملأ الأرض !

لم أتحمل المنظر وقفت أدافع عنه قائلة .. اتركوه وخذوني انا .. ارجوكم اتركوه لأهله ، لشبابه وخذوني بدلاً عنه .. وقفوا ينظرون لي .. وكأنهم يفكرون ..

ثوان وأخذوا الفتى وهو يصرخ بشدة .. ظل الصوت يقل تدريجيا حتى انتهى ..

مر يومان لا أعرف كيف مروا بالله .. سمعت فيهم حكايا الأهل الطيبون الذين بالطبع يأكلهم الخوف الأن على أولادهم .. والأم التي تخشى أن يقول زوجها وأولادها عنها هربت حيث انها لم تكُن سعيدة جدا مع زوجها! ستموت بوحشية وتظلم الاثنان .. سمعنا الفتاة العروس التي تتمنى لقاء عائلتها لمرة واحدة قبل الموت وخطيبها الذي تحبه لدرجة الجنون .. كيف ستتركه !

دقائق وسمعنا صوت الباب يفتح وكنا نودع بعضنا بخوف .. لا نعرف من سنودع .. تلك المرة مختلفة .. تلك المرة ترابطت معهم جميعهم ..

تلك المرة لم يكونوا الطبيبين .. حمداً لله كانت الشرطة .. جائهم بلاغ عن وجود مزرعة يصدر منها أصوات أغاثة سمعها رجل كان يمر بالجوار ..

يا للقدر لم يأتي ميعاد موتي بعد .. هناك بقية لأحزاني بعد .. لم أكن أعرف أن إنقاذ الشرطة لي ما هو الا فخ .. حقيقة .. عندما طلبوا مني تعريف الهوية وانا عرفت المأزق الذي وقعت فيه .. ليس هناك مفر سوى مجئ هشام ليكفلني ويجلب بطاقتي الشخصية .. لا هشام لا .. سأتصل بشقيقي .. سأطلب منه أن لا يخبر أحد باتصالي هذا .. اتصلت وانا أرتجف.. أخبرته انني في القسم .. وأنني بحاجه له ..

توسلت له أن لا يعرف أحد بأتصالي هذا ..

للأسف تلك الليلة كانت من أسوأ الليالي بالنسبة لي .. نزلت الحجز مع فتيات الليل والمشردات وباقي الزميلات معي ممن لا يملكون هوية ولكنهم سرعان ما تركوني وحدي بعدما ودعوني لان عائلاتهم جائت .. اما انا شقيقى فلن يأتي سوى بالصباح كنت أجلس بخوف .. نظرات بعضهن مرعبة ..

طلبت فتاة منهن مني ما معي .. قلادة صغيرة تقع بصدري لا يلحظها أحد أبدا من رقتها ومحاولتي المستمرة لخفيها ، ولكنها لاحظتها وطلبتها ، ليس هذا فقط بل قامت بضربي هي وصديقتان لها لأنني تجرأت وسببتها .. جسدي هذا كتب عليه العذاب ؟!

حقا فالذي يحدث معه ليس قليل، رحماك يا ربي .. أريني الحكمة من كل هذا ..

مرت ليلتي بدموعي .. بآلامي .. وجاء النهار ومعه صوت الحارس ينادي بإسمي : فرحة محمد هياااا ..

تحركت بعدما نظرت لقلادتي ووعدتها بالعودة .. وتوعدت للثانية بالإنتقام ..

خرجت لأجد شقيقي الذي مالبث رآني إلا وأخذني بين ذراعيه باكيا .. حكى له

الضابط ما حدث لي ومع ذعره مما سمع على اشتياق نتيجه هروبي السابق ..
حاوط جسدي الصغير بعناق دافئ ، طمئن قلبي واسكن أوجاعي .. سألني من الذي قام بضربي هكذا ؟! حكيت له ماحدث ..
فطلب من الضابط العدل وما كان من الضابط الا تلبية الرجاء ..
جاء بالثلاث فتيات وخلع عن الفتاة الحقيرة قلادتي واعطاني أياها ثم قال .. هن امامك أفعلي بهن ما تشائين ..
أردت بشدة صفعهم بل وتقطيع شعورهن .. أردت البطح بواحدة وراء الاخرى أرضا والبطش بهن مثلما فعلن معي ، ولكن لم ولن أفعل .. أعرف نفسي ..
لن أرد الأساءة بالأساءة مهما حدث ..
رأيت في عيون المدعوة سمارا نظرة امتنان ، ابتسمت لها ومضيت مع أخي بنفس راضية ..
قصصت على أخي ما حدث معي منذ هروبي ، أخبرته عن الأم والاولاد وعبده ..
قلت له عن نومي بجانب الشجرة حتى وقعت بيد مافيا الاعضاء .. أخبرته أن الهرب بالنسبة لي وقتها كان أفضل حل ولكن وبعد الذي مررت به سأعود وكلي ندم اترك هشام يفعل بي ما يشاء ..
وقف أخي أمامي ينهرني .. أنتِ نجيتِ من يده .. من الشر الذي عشت به لسنوات .. الله ساعدك لو لم يرد نجاتك ما سمح لك بالهروب .. لن تعودي له وهو سينسى مع الوقت .. الآن يجب عليكِ البقاء بعيدًا .. ماذا تريدين لعيش حياة طبيعية ..
مال ، وأوراق شخصية وسكن وعمل ؟!
كنت أنظر إليه كالتلميذ البليد لا أفهم ماذا يفعل ولماذا يساعدني الآن !
هل يطلب مني البقاء هاربة ! سألت لماذا الأن ؟!
قال : لأنني لم أفكر ابدا في الأمر .. لا أعلم لماذا هذا الخيار كان غائب عنا وبما أنه

وجد فهذا بالتأكيد إختيار الله .. وسوف نتبعه ..

أعطاني بطاقة قديمة لي وشهادة ميلاد وبعض النقود بل الكثير منهم وطلب مني الذهاب معه .. ذهبنا لبيت في أحد حواري المدينة الكبيرة ..

وجدت هناك أمرأة كبيرة تعيش وحدها .. لها ابن واحد متزوج بعيدًا عنها .. ولها ابنة هاربة منذ سنوات وشقيقي يطلب مني البقاء معها وخدمتها .. هي تكون والدة صديق صديقه ..

جلست وانا لم استوعب بعد الذي يحدث ثم تطلعت بصورة جانبية بها السيدة وابنها وابنتها منذ سنوات .. ولكن تلك الفتاة هي ، هي نفسه سمارا .. سألت الأم بلهفه ماذا يكون إسم بنتك ؟!

أخبرتني الأم أن تلك الفتاة في الصورة اسمها نورا .. قلت في نفسي لا يمكن تقارب الشبه بهذا الشكل.. فهي نفسها ثم أنها بعملها كفتاة ليل من الطبيعي جدا ان تغير اسمها .. كنت أكيده انها هي ..

طلبت من أخي الذهاب والعودة مرة أخرى .. طلبت منه بشكل شخصي مساعدتي في هذا الأمر .. انا لا أعتقد أن وقوعي في تلك الأسرة صدفة أبدا ..

ذهبنا سويا للقسم مرة أخرى.. تحدثنا مع الضابط وطلبنا منه التحدث مع سمارا .. جلسنا سويا والضابط الكريم كان شاهد على حديثنا ..

جلست سمارا أمامنا لا تستوعب ما أفعل .. حتى أنا لا أستوعب .. ولكن عندما ناديتها نورا بكت ، بكت وبشدة وسألتني من أين عرفتي بهذا الأسم .. قصصت عليها ما حدث منذ ذهابي من القسم .. قالت لي والدموع تملأ مقلتيها .. أمي مازالت حية ؟! أين تعيش لقد بحثت عنها كثيرا جتى فقدت الأمل .. حكت لنا انها هربت مع جارها الذي وعدها بالزواج ولكنه أستخدمها في شبكة للدعارة .. أخبرتنا عن ندمها ومحاولاتها المستمرة في الهروب والبحث عن والدتها ولكنها لم تحصل على شيء ابدا .. حيث أن والدتها وإبنها رحلوا عن الحي السابق بعدما قامت بفضحهم .. الضابط العطوف أخبرنا أنه سيساعدنا في خروج الفتاة ووعدنا بذلك ..

تركنا سمارا او نورا وذهبنا انا وشقيقي بعدما تركنا لها العنوان ورقم هاتف الأم الذي بالفعل كان مع أخي ..

ولكن ما حدث بعد ذلك مقلق وغريب .. فبعدما تركنا المخفر كان هناك رجل خمسيني ينظر لنا بقلق .. وبعدما تحركنا شعرنا به خلفنا .. شعرت به وحذرني أخي من البقاء قربه حتى نعرف مايريد ..

ضربات قلبي تتسارع .. لم أهدأ بعد مما عشته اليومين السابقين ..

أخي أمسك بيدي حتى لا أقلق ثم استقلينا الحافلة.. كانت مزدحمة ولا نعرف ماذا حدث لهذا الرجل هل هو أيضا برفقتنا أم مجرد مصادفة !

عدنا للمرأة العجوز وجدناها تنتظرنا وتضع أمامنا بعض الطعام الذي ابتاعته من محال قريب لمنزلها .. بعثت بطفل الجيران ليأتي لنا بطعام ..

كان شقيقي على وشك الذهاب وكاد السؤال عنه يخنق روحي ، فتجرأت وسألت : كيف حال هشام ؟ تغيرت ملامح وجه أخي ثم قال: الغريب انني لا أعرف ..

جاء لي وسألني عنك يوم اختفائك وهدد وتوعد وكسر ما قابله وقتها ومنذ ذلك اليوم وانا لم أراه ابدا ولا أعرف عنه شيء .. لا أخفيك انا قلق من اختفائه هذا ..

قلت والقلق تسرب لقلبي : لعله مريض كنت سألت عليه ..

نظر لي أخى بضيق واضاف : انسيه .. فقط انسي هذا الماضي وعيشي حياة هادئة هل هذا صعب عليك ؟! اجعلي قلبي يرتاح من تأنيب الضمير وانا أخذك كل ليلة لأقطب لك جرح جديد !

خجلت بشدة من حديثة وصمت عند هذا الحد حتى لا اضايقه أكثر ..

اطمئن علي أخي ثم ودعني وذهب .. كنت ممتنه لك هذه المرة بشدة .. هذه المرة عرفت ما معنى الظهر والسند يا شقيقي المغلوب على أمرك ..

مرت عدة أيام وسمعت صوت الباب يدق .. كانت سمارا ! جائت !

لا أصدق أنها بالفعل هنا .. ستراها أمها .. كيف سيكون اللقاء يا ترى !

الأم التي لا تنهض سوى بمساعدة كانت تقف على قدميها .. الدموع لا تتوقف في عينيها .. اتجهت سمارا نحوها تبكي هي الأخرى وقعت امام قدمها تتوسلها ..

طلبت منها مسامحتها .. فبكت الأم وهي تقول هل تكره الأم ابنتها مهما فعلت ؟!

بعد لقاء بكيت فيه كما لم أبكى في حياتى تركتهم سويا لتحكي سمارا ما تريد وتعرف نفسها كما تشاء ..

بعد ساعة وبضع دقائق خرجت سمارا .. لم تتحدث بل لم ترفع عينها في عيني ابدا ثم وجدتها تمسك بيدي فجأة وتقبلها .. تشكرني على معروفي معها .. تقول لي لن أنسى لكِ ابدا ما فعلتيه معي .. انا اسيرة معروفك ..

رفعتها عن يدي وعانقتها ثم أخبرتها بأنها نورا ولا تحتاج للقلق مني ..

قالت بحزن : لم أستطيع أن أخبر أمي .. خشيت أن تموت قهرة ..

فقلت بإبتسامة : صدقيني لن تعرف ابدا ..

فسألتني بقلق واضح : شقيقي لا يأتي ؟!

فأخبرتها بأنه منذ مجيئى لم أراه ابدا ولكنه يهاتف والدته بإستمرار ..

شعرت بها تخشاه وتخشى مما قد يفعل .. فحاولت تهدأتها وأخبرتها أن تتمسك بروايتها لوالدتها وتحكيها له وان شاء الله سيصدقها ..

بعد بعض الوقت .. تقاربنا انا ونورا واصبحنا مثل الشقيقات ، كنت أعيش معهم كالعائلة .. حقا كُنت سعيدة جدا ..

فلقد كانت نورا مرحة وطيبة .. رأيت له وجه عطوف وحنون .. تطلعت بقلادتي التي أخفيها من جديد وقالت بضحك : يبدو أنها غالية عليك ..

ابتسمت وقلت وانا امسكها بيدي : جدا ..

لم تكمل حديثها حتى سمعنا صوت الباب يدق .. وزائرة تطلب رؤية السيدة العجوز كان وجهها مألوف لي .. أشعر وكأنني رأيتها من قبل .

طلبت بعض النقود من السيدة وبالفعل أعطتها وبعدما رحلت حكت لنا السيدة من هي وماذا تفعل .. وعرفت من أين أعرفها ....

هي ، هي زوجة عبده بنفس ملامح ابنه الاصغر، عرفت وجهها المألوف لمن ، عرفت أيضًا قصتها ولماذا لم تعد لأبنائها ، لقد سرقت الأموال التي جائت بها ، حيكت عليها عملية نصب، دفعت فيها الأموال ومن وقتها هي تخاف العودة لعائلتها وأيضا تشعر بالندم على ما فعلت ..

من يومها أيضا وهي تعمل بائعة تبيع ملابس وفرش لبائعة اكبر منها وتمر على المنازل تجمع لها المال او تعرض بضاعتها ، تعيش حياة قاسية ، ورغم ذلك ترفض العودة لأولادها مهما حدث ، فبأي وجه تواجههم ..

طلبت من السيدة مهاتفتها وإن استطاعت تعود اليوم أو تمر بالغد وبالفعل لبت السيدة طلبي .. ولكن زوجة عبده كانت بالفعل ذهبت بعيدا ولكنها جائت باليوم الثاني ..

كانت تجلس أمامنا تبكي ، تشعر بالندم على ما فعلت ولا تعرف كيف تواجه عبد الرحمن وأولادها بجرمها .. كيف سيصدقونها ، كما أن رصيدها معهم سيء ..

ثم قالت وهي تبكي : انا عاقبت نفسي بحرماني منهم ، انا استحق العقاب انا مجرمة وانانية .. واستغليت زوجي ومحبته .. حقا انانية هل يؤلم أحد عبد الرحمن !

لكن من لا يخطأ ؟! فقلت بصدق صدقيني كلنا مذنبون .. وكلنا بحاجه للمسامحة ..

لا تقسو على نفسك ما دام قلبك عرف الندم حقا فأنتِ تستحقي فرصة ثانية ، اتمنى إن مَن الله عليك بها أن تحسني استغلالها .

طلبت منها أن تستعد للذهاب لأسرتها غدا وسأكون معها وأضمن لها أن يسامحوها ليس ثقة في شيء سوى قلبهم الكبير الذي عطف على فتاة مثلي لا يعرفون عنها شيء وعندما عرفوا ساعدوها !

جاء اليوم التالي ، يوم المشتريات وكان اليوم يومي انا فنحن نقسم المهام انا ونورا سويا ..

خرجت ورأيت نفس الرجل هل تتذكرونه ؟!

هذا الرجل الخمسيني الذي طاردني يوم كنت مع أخي .. دب الرعب في قلبي ، وجهي انفجر بالحمرة وقلبي ضرباته زادت شعرت بقلبي سيقف من سرعته ، تمنيت أن يختفي كالمرة السابقة ولكن يبدو انه كان يتعقبنا .. هو يقصدني .. وجدته يتجه نحوي .. لا يصدر لي صوت .. حاولت النجاة ولكن صوتي اختفى ! ماذا افعل ؟ .. بمن استنجد ..

اقترب مني وقال : لا تخافي يا بنتي أنا لا انوي أذيتك بل في الواقع انا من أنقذتك .. كنت أريد الأطمئنان عليك ..

انا كنت شاهد عندما حملك هذا الفتى وأخذك للمزرعة ، أنا لم استطيع التبليغ وقتها ، خوفت بشدة فأنا رجل كبير لا استطيع مواجهة كل هؤلاء .. كما انني أعرف هذا الفتى فخوفت من بطشه بي .. لا اصدق .. هذا الرجل رأني وانقذني !!

ولكن قلت بقلق : ولكن الشرطة أخبرتنا ان أحدهم كان مارا فسمع صوتنا نستغيث قال : أنا فعلت .. كنت خائف وضميري يقتلني .. فقلت أتصل كمجهول وأبلغ عن سماع صوت استغاثة .. اسف بنيتي .. بالتأكيد عيشتي يومان سيئين ..

بكيت وانا اتذكر هذا الشاب وخوفه .. بكيت بشدة وعاتبته قائلة : كنت ستنقذ احدهم .. ليتك ما جبنت .. ثم اعتذرت عن قولي هذا.. سامحني المنظر الذي رأيته والصوت الذي سمعته لن استطيع نسيانهم مهما حاولت ..

فقال بحزن : لا تحزني على فرد فكنتِ يا صغيرة نجاة للكثيرين .. هل تظنين لولا انتِ ورؤيتي لك هل كان سينجو أحد ؟! كنتِ أنت السبب ..

في حديثه بعض الصحة ولكن ماذا يريد الأن قلت بضيق : شكرا لك .. هل يمكنني الذهاب الأن؟!

قال: بالطبع ولن تريني من جديد .. أريد فقط مسامحتك ..

قلت : أنت أنقذتني .. بالطبع أسامحك واشكرك ..

كانت الدنيا تدور بي .. ما كل هذا ولماذا يحدث معي انا دون غيري !

عدت للبيت وكانت زوجة عبد الرحمن بالفعل جائت للذهاب لأسرتها .. ذهبت معها وانا لا أعرف ماذا ستكون ردة فعلهم ..

دلفت انا للداخل وطلبت منها البقاء فى الخارج حتى التمهيد لهم ..

بالطبع سعدوا جميعا برؤيتي كما سعدت أنا .. ولكن الأكثر سعادة بيننا كان عبده ..

لو تعلم ما سبب زيارتي اليوم لأختفت عنك سعادتك او ربما زادت فتلك سعادة حقيقية واقع ينتظرك اما انا فلست لك .

بدأت حديثي عن إيجاد الرحمة وبأننا جميعا لابد وان نسامح لأننا سنحتاج بالطبع لأن نسامح يوما ما .. أخبرتهم عن زوجة عبده وأنني رأيتها والغريب انهم جميعا لم يرفضوا بل استمعوا بفضول .. قلت لهم ما عاشت وكيف تشعر بالندم .. وكان منهم كل التسامح ..

طلبت منها الدخول.. وقعت على يد الأم وقبلتها وطلبت ان تعيش تحت قدمها وقدم ابنها ان سامحوها .. وصدقوني هي لم تكن بحاجه ابدا هم بالفعل مسامحون ..

اعتذرت وخرجت لأجد عبده ورائي يناديني : انتظري يا فرحة ! ..

سألت بدهشة : ماذا هناك ؟

قال : سامح مات .. يقولون بالسكتة القلبية يوم ارسلتك له .. انا اسف يبدو انك لم تقابليه ! ابتسمت وقلت : لا لم افعل ..

ضحكت من لعبة القدر الذي أرسلني لهذا الشيطان ليخاف من فضح ستره فيقف قلبه ويموت ! وترحم الكثيرات منه .. حمدلله انك رحلت عنا ..

عدت من جديد للبيت بيت نورا .. وجدتها تقابلني وعلى وجهها نظرة قلقة ..

هنا أحد ينتظرك !! ..

وجدت شقيق نورا في انتظاري يطلب مني الذهاب فيكفي وجود نورا وانا الأن بالنسبة لهم مجرد مصاريف زائدة .

شخص قاس بعض الشيء ، لا يهتم بحديثه ولكنني متفهمه ما يقصده وبالطبع عنده حق، كما ان حالتهم بسيطة جدا، اشفقت على نورا التي كانت تقف امامه كالطفل الخائف ، حاولت التحدث لكنني قاطعتها بأنه لا بأس، من حقه أن يجد ما يناسيه ، طلبت منهم فقط أن أتصل بأخي ليعرف بذهابي ، حاولت الوصول إليه ولكن لم يجيب، مرة واثنان فتركت له رسالة مع نورا لكي لا يقلق .

ودعت نورا وهي تبكي ، تبكي بشدة بالفعل نحن ترابطنا معا ، ولكن قبل ذهابي طلبت منها أن لا تخاف شيء وتستمر في طلب التوبة ، وانني عندما استقر سأراسلها ..

مرة أخرى أواجه المجهول .. لا أعرف إلى أين أذهب .. ولا ماذا أفعل .. لا أعرف كيف وجدت نفسي هناك أمام بيتي .. ولكن أين بيتي ! انا لا أجده ..

هلعت وانا اتطلع للركام أمامي ، سألت بخوف ، ماذا حدث ؟

فرأني جارنا عم شكري وقال : فرحة ، بنتي كيف حالك ، لم أجيبه ،

قلت والقلق يأكل روحي : أرجوك أخبرني ، أين الجميع وماذا حدث للمنزل .. أخبرني عن (أنبوبة الغاز) التي أنفجرت في البيت ، وأولاد شقيقة زوجي وزوجها الذين ماتوا دفعة واحدة الا ابنتهم الصغيرة الرضيعة لا احد يعرف كيف نجت !

موت حماتي وزوجها ، ثم نقل هشام للمشفى في حالة حرجة جدا ..

لا أعرف كيف هرولت من أمامه ، لا أعرف كيف كنت في خلال دقائق أمام المشفى أحاول إيجاده ، ابحث عنه مثل المجنونة ، الممرضات يهدأوني وانا لا يمكن ، أخبروني بأنه خرج منذ ساعتين فقط ، يا للقدر، ساعتين !

أين أبحث عنه ، ماذا أفعل ان وجدته ، ماذا سأقول ، ما الذي أفعله بالأساس ..

خرجت من المشفى واتجهت لبيت شقيقي ، وجدت زوجته تفتح لي الباب وتقابلني بالحب والعطف ، ومن ورائها شقيقي يرحب بي، قائلا : قلقت بشدة عليك عندما أخبروني بأنك ذهبت ، الحمدلله أنك عُدت إلى هنا ولن تذهبي بعد الأن إن شاء الله ..

سألت عن سبب الثقة الكبيرة في صوته وجمال الترحاب هذا ما سببه ، أين ذهب الخوف فقال : لم يعد هناك قلق ، المخاطر ذهبت بعيدا ، انتقام الله حدث ، وسوف تعيشين حياة هادئة من الأن ..

فسألت بجدية : ماذا تقصد !

فقال بسعادة : زوجك هشام أصبح أعمى ، عائلته التي كانت تعذبك وتهددنا ماتوا ، عدل الله جاء ، لم تعودي بحاجه للهرب ، الله انتقم لك على كل جرح وجد في جسدك ، هيا صلي ركعتين لله ..

وقفت امام أخي بضيق ، سألته : وهل يقبل الله الشماتة ؟!

ضاق صدري ، لا اعرف الا ومسكت قلادتي بيدي ، افتحها بهدوء وانظر لصورة هشام القديم ، هشام الذي أحب، قلت لأخي هل يعرف له مكان ؟!

فسألني: هل ستعودين إليه ؟!

سألته مرة ثانية متعمدة تجاهل سؤاله : هل تستطيع إيصالي به ؟!

غضب أخي وقال : إن عدتي له لن أعرفك ، الله انقذك وأنتِ تصممين على العذاب اقتربت من أخي أمسكت بيده وقلت : الله جعلني أرى كل شيء بعين مختلفة ، الأيام القليلة الماضية عشت أمورًا تجعلني أغير نظرتي لكل شيء .. أنا لم اتعمد كل هذا ، ولكنه الله أراد لي رؤية كل شيء بزاوية مختلفة ، هشام الأن ضعيف وبلا أحد أنت محق ولهذا سأبحث عنه ، انا كنت ضعيفة وبلا أحد وكفلني أغراب بعطفهم ، اناس لا يعرفون شيئا في الحياة غير التسامح ، رأيت الموت امام عيني مرة واثنان ، نمت

بالشوارع والله وحده حرسني ، سخر لي الله من يساعدني ، هل عندما يحتاج غيري لمساعدة أتركه ؟ أفكر في رد الألم له ..

طلبت منه مساعدتي لفعل الشيء الصحيح وهو الوفاء بالواجب ، هشام لم يكن مخطأ وحده ، انا وهو نستحق بعضنا ، انا وهو اخطأنا وهو ليس شيطانا ، فلم أجد من أحن علي منه سابقا وإن قبل بي سنعود مثل السابق انا على ثقة ..

بحثنا اياما ولم نجده ، اختفى هشام تماما ، لم اترك باب لقريب لنا الا وطرقته دون جدوى لا أحد يعرف عنه شيء ..

ثم حدث شيء غريب.. شيء أخبرني أن أذهب للمحل الصغير الذي استأجره هشام منذ سنتان ليعمل به بجانب وظيفته الحكومية .. لا أعرف كيف لم أفكر انه المأوى الوحيد له .. ذهبت ووجدته .. يجلس على مقعد .. ملابسة متسخة .. يداه ترعش ، لا يحدد شيء حوله ، اغلب الوقت يوقع الأشياء ، اقتربت منه وانا خائفه من ردة فعله ، مازلت أرهبه وبشدة ، حتى وهو لا حول له ، اقتربت وعندما اصبحت قريبة وجدته يشتم الهواء ثم سكن محله قليلا ، كل هذا وانا لا اتحدث ، فقط أتأمله ولا أعرف ماذا أفعل او ما الذي يجب أن يقال ..

سبقني هو .. قال : عُدتي ، جئتي لتشمتي بي !

قلت وانا في حيرة ، كيف عرفت انني هنا ..

قال مازحا : لا اخطأ رائحتك ابدا يا فرحة ، فأنا لم أحب ولم أكره احدًا مثلك والشعوران كافيان أن تعلق رائحتك بأنفي حتى الموت ..

اقتربت منه وانا بالفعل ارتجف ، هشام هذا اخشاه ، اخشاه بشدة ، قلت والرجفة واضحة في صوتي : سامحني يا هشام ، أجعلني أعوضك عن ما سبق ، نحن الاثنان أخطأنا بحق بعضنا ، ولكن الحب بيننا يجعلنا نغفر ..

قال ما جعلني أفعل ما أفعله بضمير مرتاح واشعر بالخير الذي وحمدا لله لم يذهب

من قلبه : كيف أنسى انك حرمتيني من ابوتي وكيف اسامح نفسي على تعذيبي لكِ؟!

قلت وانا أضع يدي على كتفه الفعل الذي جعلنا نحن الاثنان نرتجف : سوف نتعلم السماح سويا ..

هشام كان في حاجتي ، وقع في صدري وبكى كالأطفال ، هشام القديم هو الحاضر الأن ،هشام الذي أحب ولم ولن أحب غيره ، هشام قال لي : هل ستقبلي بي أعمى؟!

قلت له كما قبلتني بلا اولاد .. سنقبل ببعضنا ونكون عكازا يسند كل منا الأخر وقت ضعفه ..

مرت الأيام وأخذت ابنة شقيق هشام التي وضعوها في دار رعاية لعدم وجود أحد يكفلها .. بنينا نفسنا من جديد .. تعلمنا الحب سويا مرة اخرى .. كلا منا اختلفت نظرته للحياة وعرفنا الحكمة التي تحدث من كل شيء .. وهناك بشرى عن امكانية رجوع بصر هشام من جديد ..

انا أعيش الأن حياة هادئة ، بعد كل ما عشته ..

صدقوني لم أتعمد كل هذا ..

2020 - 3 - 28